الهدي النبوي
في المعاملات الإنسانية

إعداد الدكتورة
إيمان عبد العزيز السيد فودة

مدرس الحديث وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
الزقازيق – جامعة الأزهر

(الهدي النبوي في المعاملات الإنسانية)

إيمان عبد العزيز السيد فودة
قسم الحديث وعلومه – شعبة أصول الدين – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق جامعة الأزهر، مصر .
البريد الإلكتروني : emyfouda29@azhae.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى الحديث عن المعاملات الإنسانية من خلال الهدي النبوي الشريف ، فإنه لما كانت المعاملات في الشريعة الإسلامية معاملات ربانية المصدر، أي أن مصدر أخذ الأحكام في هذه المعاملات من الله سبحانه وتعالى عن طريق كتابه المنزل على نبيه ﷺ ومن السنة النبوية المطهرة، فنجد المعاملات الإسلامية مبنية على العدل الكامل فلا ترى فيها ظلم ولا جور، والمعاملات الإنسانية ليست مقتصرة المعنى على المعاملات المالية فقط، بل تُطلق على تلك الروابط القائمة بين الناس أفراداً وجماعات، سواء كان ذلك على مستوى الأسرة، كالعلاقة بين الزوجين، والعلاقة بين الآباء والأبناء، أو على مستوى المجتمع على اتساعه، أو على مستوى الاتصال الإنساني والتفاهم البشري بشكل عام، في كافة جوانب الحياة ومجالاتها، ويمتاز الدين الإسلامي في تشريعاته الخاصة بالمعاملات الإنسانية بميزات لا توجد في التشريعات الأخرى القديمة منها والحديثة، وخير الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم في جميع المعاملات الإنسانية، سواء في تعامله مع أهل بيته، زوجاته وأبنائه، وأحفاده، أو مع خدمه أو مع جيرانه، أو مع أصحابه أو البيع والشراء أو معاملته مع غير المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الهدي النبوي ، المعاملات الإنسانية ، التفاهم البشري ، مجالات الحياة .

The Prophet's Guidance in Human Transactions

Eman Abdel Aziz Al-Sayed Fouda .
Department of Hadith and its Sciences - Fundamentals of Religion Division - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Zagazig - Alazhar University .
E-mail:emyfouda29@azhar.edu.eg

Abstract :

The research aims to talk about human transactions through the noble Prophet’s guidance, because it was no Transactions in Shari'ah are divinely-sourced transactions. The source of taking judgments of these transactions comes from Allah, glorified and exalted be He, through the holy book sent to his prophet peace be upon him and from the Sunnah of the Prophet. We can find that Islamic transactions are based on full justice, so that you will not see injustice or bias in them. Moreover, human transactions are not limited to financial transactions only, but also the links between individuals and groups of people, whether at the level of the family, such as the relationship between spouses, the relationship between parents and children, or at the level of society at large, or at the level of human communication and human understanding in general. Also, they contain all aspects and fields of life. Furthermore, The Islamic religion regarding its legislation on human transactions has advantages that are not found in other ancient or modern legislations.The best guidance is the guidance of the Prophet (peace be upon him) in all human transactions, whether in dealing with his family, wives, children, grandchildren, servants, neighbors, friends, buying and selling, or even in dealing with non-Muslims.

keywords: The Prophet's Guidance , Human Transactions, Human understanding, areas of life

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله، أما بعد...

فالإنسان اجتماعي بطبيعته لذا فإنه لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن بني البشر مهما توافرت له مميزات وبدائل تعوضه عن التواصل مع الآخرين، إن وجود علاقات تفاعلية بين البشر من ضرورات الحياة بغض النظر عن جنسٍ أو معتقدٍ أو لون، هذا النوع من العلاقات يعرف بالمعاملات الإنسانية وهذا ما يحتاجه البشر في حياتهم اليومية فحاجات الإنسان في أغلب الأحيان متعلقة ومرهونة بما عند غيره من البشر، وناموس الحياة أخذ وعطاء. ولأن طبيعة الحياة الاجتماعية تُلزم أفراد المجتمع بكافة أطيافه بالتفاعل مع بعضهم البعض سواء كان هذا التفاعل فيه تقارب أو تنافر، والدين الإسلامي هو دين رباني شامل، لم يترك شيء في هذه الحياة إلا وأخبر أتباعه عنه، ولم يقتصر الدين الإسلامي على تعليم المسلمين أنواع العبادات وطرق تأديتها، بل أوضح لهم طرق المعاملات فيما بينهم، وعرف هذا الأمر فيما بعد بفقه المعاملات. فالدين الإسلامي منهج حياة.

والمعاملات في الشريعة الإسلامية معاملات ربانية المصدر، أي أن مصدر أخذ الأحكام في هذه المعاملات من الله سبحانه وتعالى عن طريق كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ومن السنة النبوية المطهرة، فنجد المعاملات الإسلامية مبنية على العدل الكامل فلا ترى فيه ظلم ولا جور، ولقد جعل الإسلام المعاملات جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم فبتطبيق أحكام المعاملات تنصاع لأوامر الله تعالى وتجتنب نواهيه فالإسلام لم يأمر المسلمَ أن يؤدي الفرائض فحسب، بل أمره كذلك

أن يحسن معاملته مع الناس، حتى جعل المقياس الذي يقاس به المسلم هو معاملته لا صومه ولا صلاته، فمن حسُنت معاملته، دل ذلك على حُسن إسلامه، وإلا فليراجع المرء نفسه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من حمل علينا السلاح فليس منا، ومَن غشَّنا فليس منا)[١]

والمراد :أن من حمل السلاح على المسلمين بغير حق، ولم يستحله فهو عاص ولا يكفر بذلك، فإن استحله كفر، وقيل معناه: ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا٢[٢] فهو تعبير يراد به الزجر والتخويف، وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال ﷺ: أفلا جعلته فوق الطعام)ظاهراً مكشوفاً غير مدفون(؛ حتى يراه الناس؟ مَن غشنا فليس منا)[٣] وقوله ﷺ: (مَن غشنا)؛ يعني: من غش المسلمين، أما قوله ﷺ في رواية الترمذي (من غش)[٤]؛ يعني: مَن غشَّ أي إنسان كان.وعلق الترمذي عليه وقال: والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا ذلك وقالوا: الغش حرام.

والإسلام لم يأمر المسلم بأن يحسن معاملته مع الناس فحسب، بل أمره كذلك بأن يتمنى لهم الخير كما يتمناه لنفسه، فما أنبل قول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٥]، كما حثَّه على أن يترجم هذا الحب للآخرين إلى عمل وسلوك، فيخدمهم بما يقدِر عليه، فقد قال رسول الله ﷺ: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصنَ شوك على الطريق، فأخَّره، فشكر اللهُ له"، فغفر له)[٦]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ من غشنا ف ليس منا(٢٨٢/١/ح١٠١)
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٨٢/٢)
(٣) المرجع السابق(٩٩/١/ح١٠٢) وأبو داود في سننه كتاب البيوع باب النهي عن الغش (٣٤٥٢/٢٧٢/٣)
(٤) أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع (٥٩٨/٣/ح ١٣١٥)
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٧/١/ح١٣) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان (أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه) (٢١٢/١/ ح ٤٥)
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآذان باب فضل التهجير إلى الظهر (١٤٧/١/ ح٦٥٢) ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب فضل إزالة الأذى عن الطريق (٥٤/٤/ ح١٩١٤)

فقد نال هذا العبد شكر الله له، ومغفرته؛ لأنه نحَّى غصن شوك عن طريق الناس.

ويأتي هذا البحث من منطلق الشعور بالحاجة الماسَّة إلى إعادة بناء العلاقات الإنسانية على أساس من الثقة والاحترام المتبادل، ومراعاة المشاعر والأحاسيس، لما لذلك من دورٍ إيجابي في توثيق عُرى المحبة بين الناس، ولا نجد أفضل من هدي رسول الله ﷺ لنتخذه قدوة في تعاملاته مع الآخرين، فأحسن الهدي هدي محمد ﷺ.

ويهدف البحث إلى:

١- أن المعاملات في الشريعة الإسلامية معاملات ربانية المصدر.

٢-بيان اهتمام السنة النبوية بالتعامل مع الآخرين، وكيفية التعامل معهم.

٣-المعاملات الإنسانية ليست مقتصرة المعنى على المعاملات المالية.

٤- يمتاز الإسلام في تشريعاته الخاصة بالمعاملات الإنسانية بميزات لا توجد في التشريعات الأخرى القديمة منها والحديثة.

٥- الاقتداء بالنبيّ -ﷺ- في المعاملات الإنسانية.

وتتكون هذه الدراسة من: مقدمة وفيها عنوان البحث، وأهدافه،

وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: المقصود بالهدي النبوي في العلاقات الإنسانية، ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالهدي النبوي

المطلب الثاني: المقصود بالمعاملات الإنسانية.

المطلب الثالث: آداب الإسلام في المعاملات الإسلامية.

المبحث الثاني: هديه ﷺ في التعامل مع أهل بيته، ويتكون من ثلاثة مطالب،

المطلب الأول: هديه ﷺ في التعامل مع زوجاته

المطلب الثاني: هديه ﷺ في التعامل مع أبنائه وأحفاده.

المطلب الثالث: هديه ﷺفي التعامل مع الخدم.

المبحث الثالث: هديه ﷺ في التعامل مع غير أهل بيته، ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: هديه ﷺ في التعامل مع جيرانه.

المطلب الثاني هديه ﷺ في التعامل مع أصحابه.

المطلب الثالث: هديه ﷺ في التعامل في البيع والشراء.

المطلب الرابع: هديه ﷺ في التعامل مع غير المسلمين

المبحث الأول

المقصود بالهدي النبوي في العلاقات الإنسانية

المطلب الأول

المقصود بالهدي النبوي

الهَدْيُ: الطَّريقةُ والسِّيرةُ، يقالُ: فلانٌ {يَهْدِي} هَدْيَ فلانٍ، أَي يَفْعَلُ مِثْلَ فِعْلِه ويَسِيرُ سِيرَتَه. وفِي الحديثِ: (واهدوا هدي عمار)[1]، أَي سِيرُوا بسِيرَتِه وتَهَيَّأُوا بهَيْئَتِه، ومَا أَحْسَنَ {هَدْيَه: أَي سَمْتَه وسُكونَه.[2] وفي حديث ابن مسعود ﷺ: " إِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ»[3]

وعلق الْقَاضِي عِيَاضٌ[4] على هذا الحديث، فقال: رَوَيْنَاهُ فِي مُسْلِمٍ بِالضَّمِّ وَفِي غَيْرِهِ بِالْفَتْحِ، وَبِالْفَتْحِ ذَكَرَهُ الْهَرَوِيُّ وَفَسَّرَهُ الْهَرَوِيُّ عَلَى رِوَايَةِ الْفَتْحِ بِالطَّرِيقِ أَيْ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٩/٣٨/ح٢٣٣٨) حديث حسن بطرقه وشواهده، وهذا إسناد لين من أجل سالم المرادي -وهو سالم بن عبد الواحد، ويقال: ابن العلاء، أبو العلاء الأنعمي- فقد اختلف فيه فوثقه الطحاوي في "شرح المشكل" والعجلي وابن حبان، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. وضعفه ابن معين والنسائي في "الضعفاء" (٢٢٩) ، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي عبد الله المدائني متابع ربعيٍّ، فلم يرو عنه غير عمرو بن هرم، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٦٦٧/٧-٦٦٨.
وهو في "فضائل الصحابة" للمصنف (٤٧٩) . وأخرجه ابن سعد في "الطبقات" ٣٣٤/٢ عن محمد بن عبيد، به، وابن أبي شيبة ٥٦٩/١٤، والترمذي (٣٦٦٣) ، وابن حبان (٦٩٠٢) من طريق وكيع، والبخاري في "الكنى" ٥٠/٩، وأبو حاتم كما في "الجرح والتعديل" ٤٠٢/٩ من طريق يعلى بن عبيد، وعبد الله بن أحمد في زوائد "فضائل الصحابة" (١٩٨) ، والطحاوي في "شرح المشكل" (١٢٣٣) من طريق إسماعيل بن زكريا الخُلقاني، ثلاثتهم عن سالم أبي العلاء المرادي، به.
وبعضهم يختصره، ولم يقرن الترمذي والطحاوي بربعي أبا عبد الله، وعكسُه عند أبي حاتم الرازي.
وأخرجه ابن عدي في "الكامل" ٦٦٦/٢ من طريق مسلم بن صالح، عن حماد ابن دليل، عن عمر بن نافع، عن عمرو بن هرم، قال: دخلت أنا وجابر بن زيد على أنس بن مالك فقال: قال رسول الله ﷺ...
(٢) تاج العروس ٢٨٦/٤٠
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الاقتداء بسنن رسول الله(١٥٣٠/١/ح ٧٢٧٧) ومسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة، باب في خطبته ﷺ (٤٦٤/٢/ ح٨٦٧)
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٤٦٤/٦/ح٨٦٧)

أَحْسَنُ الطُّرُقِ طَرِيقُ مُحَمَّدٍ، يُقَالُ: فُلَانٌ حَسَنُ الْهَدْيِ أَيِ الطَّرِيقَةِ وَالْمَذْهَبِ، وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ الضَّمِّ فَمَعْنَاهُ: الدَّلَالَةُ وَالْإِرْشَادُ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَفْظُ الْهَدْيِ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ وَهُوَ الَّذِي يُضَافُ إِلَى الرُّسُلِ وَالْقُرْآنِ وَالْعِبَادِ.

ثانيهما: بِمَعْنَى اللُّطْفِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ وَالتَّأْيِيدِ وَهُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ اللَّهُ بِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

فالهدي النبوي :هو سيرة المصطفى ﷺ وما سنه لنا من الأقوال والأفعال، والحاجة إلى ذلك لا تنفك في أي جانب من حياة المسلم، فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بالاتفاق بين العلماء، والتحاكم إلى السنة النبوية من علامات الإيمان، قال تعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [2].

(١) القصص:٥٦
(٢) النساء:٦٥

المطلب الثاني

المقصود بالمعاملات الإنسانية

المعاملات: جمع معاملة، على وزن مُفَاعلة من الفعل عَامَل، ومعناها لغةً: التَّعامل، وقال في المصباح المنير: ((عاملتُه في كلام أهل الأمصار يُراد به: التَّصرُّف، من البيع، ونحوه[1]. (الْمُعَامَلَات) الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الْمُتَعَلّقَة بِأَمْر الدُّنْيَا كَالْبيع وَالشِّرَاء وَالْإِجَارَة[2]

أما معناها في اصطلاح الفقهاء وعلماء الشرع: فإنَّها تُستعمل فيما يُقابل العبادات، فالمعاملات تبحث في حقوق الخلق، والعباداتُ تبحث في حقوق الربِّ – جلَّ وعلا –، ومع هذا الاتفاق من حيث استعمال هذا اللفظ، إلا أنهم اختلفوا في تفاصيل ما يندرج تحت كلٍّ قسم على قولين في الجملة.

إذًا عرفنا أن المعاملات المراد بها ما يجري به التعامل بين الناس في البيوع ونحوها، لما نقول: نحوها يعني كل ما هو من المعاوضات المالية، يعني ما يُشبه البيع، الإجارة تشبه البيع أو لا؟ الشركة تشبه البيع أو لا؟ فالتصرف والتعامل بالبيع ونحوه يعني بالإجارة والشركة وغير ذلك مما يُشبه هذه المعاملة التي يُقصد منها الكسب وتحصيل المال بإدارة التعامل بين الناس، هذا ما يتعلق بمعناه في اللغة.

فإن المعاملات تُقابل العبادات، والعبادات ضبط العلاقة بينك وبين الله، كيف تصلي عبادة، كيف تصوم عبادة، كيف تزكي عبادة، كيف تحج عبادة

معنى المعاملات في الاصطلاح: ضبط صلة الإنسان بغيره ليحقق ما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [3].

(١) المصباح المنير (٤٣٠/٢)
(٢) المعجم الوسيط (٦٢٨/٢)
(٣) النساء: ٥٨

والمعاملات ليست مقتصرة المعنى على المعاملات المالية أو معاملات البيع والشراء. لكنها تستخدم على نطاق أوسع لتشمل أي نوع من التفاعل الاجتماعي، أو التواصل اللفظي، أو التواصل البصري.

فيُطلق مصطلح «المعاملات الإنسانية» على أساليب التعامل بين الناس وتفاعلهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، في شتى جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، ومرافقه العملية، والتعليمية والأسرية. وينطبق ذلك بطبيعة الحال على المؤسسة أو المنظمة التي تجمع الناس في شكلٍ من أشكال التنظيم بغرض الوصول إلى هدف معين مشترك،

فالعلاقات الإنسانية تتعلق بتفاعل الأفراد في جميع أنواع المجالات، ويُشاهد هذا التفاعل بصفة عامة في تنظيمات العمل، حيث يرتبط الأفراد بنوع من البناء والنظام الشكلي في سبيل تحقيق هدف معين من خلال الترابط والانسجام والتعاون فيما بينهم [١].

ويُنظر إلى العلاقات الإنسانية من وجهة نظر علماء الإدارة على أنها: "دمج الأفراد في موقف العمل الذي يدفعهم إلى العمل سوياً كجماعة منتجة متعاونة، مع ضمان الحصول على الإشباع الاقتصادي والنفسي والاجتماعي. وهدفها هو جعل الأفراد منتجين متعاونين، من خلال الميول المشتركة، والحصول على الإشباع عن طريق تنمية علاقاتهم وتوطيدها. وعندما يتم تحقيق هذه الأهداف تبرز الجهود الموفقة للجماعة، حيث يعمل الأفراد سويّاً بطريقة منتجة مشبعة" .

وبعبارة أكثر وضوحاً فإنَّ العلاقات الإنسانية تُطلق على: تلك الروابط القائمة بين الناس أفراداً وجماعات، سواء كان ذلك على مستوى الأسرة، كالعلاقة بين

(١) انظر: عبد الشكور، محيي الدين: «نحو مدخل إسلامي لتطوير وتنظيم العلاقات الإنسانية»، بحث مطبوع ضمن كتاب: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، والذي يضم أبحاث اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٧٦م، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص١٢٣.

الزوجين، والعلاقة بين الآباء والأبناء، أو على مستوى المجتمع على اتساعه، أو على مستوى الاتصال الإنساني والتفاهم البشري بشكل عام، في كافة جوانب الحياة ومجالاتها[1].

(١) أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية د.عودة عبد عودة عبد الله رئيس قسم أصول الدين – كلية الشريعة – جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين

المطلب الثالث

آداب الإسلام في المعاملات الإنسانية

الأصل في دين الإسلام أنه دينُ تجمّعٍ وألفة، لا دينَ عزلةٍ وفرارٍ من تكاليف الحياة، ولم يأت القرآن ليدعو المسلمين إلى الانقطاع في دير، أو العبادة في صومعة، بعيداً عن مشاكل الحياة ومتطلباتها، بل إنّ نزعة التعرّف إلى الناس والاختلاط بهم أصيلة في تعاليم هذا الدين، فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ الفضل لمن خالط الآخرين وتعرَّف عليهم ولم يتقوقع على نفسه، وذلك في قوله: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)[١] .

ويمتاز الإسلام في تشريعاته الخاصة بالمعاملات الإنسانية بميزات لا توجد في التشريعات الأخرى القديمة منها والحديثة، كما يمتاز في تشريعاته الخاصة بالعقيدة والعبادة والسياسة والاقتصاد وغيره، وهذه حقيقة معروفة لدى كل الباحثين المنصفين والدارسين المدركين لخصائص التشريعات، عندما قارنوا الشريعة الإسلامية مع الشرائع الأخرى.

١-منهج أخلاقي إلزامي

إن التشريع الإسلامي يمتاز بعنصر أخلاقي له صفة الالتزام، في كلياته وجزئياته، من تهذيب النفوس وتزكيتها وتطهيرها، وأن الدين الحق يهدف إلى تنظيم السلوك العام بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان وبني جنسه ومن هنا جاءت الحكمة المشهورة: "الدين المعاملة"، فما الدين إذن إلا تنظيم المعاملات الإنسانية بأوسع معانيها.

---

(١) اخرجه أحمد في المسند (٥٠٢٢/٦٤/٩) والبيهقي في **السنن الكبرى**، كتاب آداب القاضي، (٨٩/١٠/٢) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، والشك فيمن روي عنه هذا الحديث من الصحابة لا يضر، فإنهم عدول كلهم. حجاج: هو ابن محمد المصيصي الأعور، وسليمان الأعمش قد صرح بالسماع من يحيى بن وثاب

ويتجلى أثر هذا المنهج الأخلاقي الإلزامي ، في كل آية من آيات القرآن الكريم وفي كل حديث للنبي الكريم – قوله وفعله وتقريره، أمره ونهيه – ولقد ظلت الإنسانية قرونا طويلة ، ولم تهتد إلى مفهوم الخير والشر بتعريف دقيق وشامل ، ثم خطا الإسلام بها خطوة واسعة فهو في الوقت الذي يأمرك فيه بفعل الخير وترك الشر ، يحدد لك مفهوم الخير والشر تحديدا واضحا لا تضل بعده ولا تشقى ، فهو يعلن أن كل ما يحقق مصلحة للفرد أو الجماعة ، أو يدفع ضررا عن الفرد أو الجماعة فهو خير يجب أن يفعله المؤمن ابتغاء وجه الله فقط ، وكذلك كل ما يعطل مصلحة أو يلحق ضررا بالفرد أو الجماعة فهو شر يجب أن يترك لوجه الله وحده.

٢-الوازع هو الإيمان والضمير

والمسلم في فعله أو تركه يقصد وجه الله تعالى لأن الله عز وجل هو المشرع، ومن حقه أن تطاع أوامره، ومن واجب المؤمن أن يمتثل أمر الله تعالى بدون تردد أو شك ومن هذا المنطق السليم نرى أن الإسلام هو أول داع للخير والفضيلة بمنهج له صفة الالتزام، بعد إعداد روحي خالص لكي تقبل النفس على فعلي الخير والتزام الفضائل ابتغاء وجه الله والتقرب إليه.

وهذه الدعوة المثالية إلى التزام الأخلاق الفاضلة في المعاملات الإنسانية، لم تعرف البشرية لها مثيلا قبل الإسلام الذي اكتمل به حلقات الرسالات السماوية وتمت به سلسلة النبوات الربانية فقد أعلى خاتم الأنبياء والرسل غرض بعثته بكل صراحة ووضوح إذ قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1].

ويدل هذا التصريح النبوي أن الأخلاق الفاضلة ومناهجها لم تكن تامة وكاملة حتى البعثة المحمدية، ومع اكتمال الدين وإتمام النعمة أصبحت مناهج الأخلاق كلها تامة وكاملة، في جميع مواقف الحياة البشرية مع إعلان اكتمال الدين في حجة

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١١٠/٧/ ح٦٨٩٥) اسناده ضعيف في اسناده عمر بن إبراهيم القرشي وهو ضعيف وللمتن شاهد عند الخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٧/١/ح١) اسناده حسن.

الوداع: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[1].

٣-حسن المعاملات واجب إسلامي

لقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يكون مظهرا حيا لحسن المعاملات في حياته اليومية، ويُنبِّه المصطفى ﷺ إلى أهميَّة حُسْن الخُلُق في التعامل مع الآخرين، فيقول: «إنَّكم لا تَسَعُونَ النَّاسَ بأموالِكم، ولكنْ يَسَعُهُم منْكم بَسْطُ الوجْهِ وحُسْنُ الخُلُق»[2].

وفي هذا الحديث الشريف عِظَةٌ نافعة وحِكمة بالغة، فإنَّ الإنسان مهما بَذَل من المال لا يحظى برضى الناس، ثم إنَّ المال ليس في مقدور كلّ إنسان، ولكن في مقدور كلِّ واحدٍ أنْ يُحسن خُلُقه، ويلين جانبه، ويخفض جناحه، ويبسط وجهه. وهذا الأدب في التعامل مع الآخرين، خيرُ مُعينٍ على تذليل صعوبات الحياة، وتخفيف آلامها، لأنه يبعث السرور في النفس، وبه تطيب المعاشرة وتصفو المعيشة. و قال ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[3] وقال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[4].

---

(١) المائدة: ٣

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم ، (١٨٢/١ح٤٢٨) وقال حديث صحيح، غير أنهما لم يخرجاه، وقال الذهبي: عبد الله بن سعيد واه، فإسناده ضعيف.

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (١٦/١ح١٠) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (٢٠٩/١/ح ٤١)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب شعب الإيمان (٢٠٢/١/ح٣٥)

هل طبقنا ولو أدنى شعبة من شعب الإيمان؟ والسؤال الذي يجب أن يوجهه كل مسلم إلى نفسه اليوم: هل طبق ولو أدنى شعبة من شعب الإيمان، وأسهلهم في معاملته اليومية؟ وهل يبالي بإلحاق الأذى والضرر للمارين بجوار منزله أو شقته بالطريق العام، بطرح القاذورات وقذف القمامة من فوق الأسطح أو من الشباك إلى الطرق المزدحمة بالمارين؟ مع أن المقصود بإماطة الأذى الوارد في الإرشاد النبوي الكريم هو إزالة ما يؤذي المخلوقات في الطريق العام ولو كان شوكة أو حجر أو أي شيء يعوق الطريق، فما بالنا بزيادة الأذى فيها ؟ أفبعد هذا المثال الشائع المزعج نحتاج إلى دليل على أننا اليوم أبعد الناس عن أخلاق الإسلام والمعاملة الإنسانية التي يطلبها منا كخير أمة أخرجت للناس !!

المبحث الثاني

هدي النبي ﷺ في التعامل مع أهل بيته

امتازت سيرة رسول الله ﷺ في التعامل مع أهل بيته بحسن وطِيب المَعشر، فكان ﷺ يخدم أهله فيحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخدم نفسه، ويخصف نعله، فإذا حانت الصلاة خرج إلى الصلاة وصلى بالناس، ثم جلس إليهم فحدثهم وعلمهم ووعظهم وذكّرهم واستمع إلى شكواهم وأصلح بينهم، ثم يعود إلى بيته، (سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ رضي الله عنها: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ ")[١] وفي رواية له أيضا: (كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ)[٢]وفي رواية عن الأسود قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)[٣] فقد كان – ﷺ – رحيماً بأهله، رؤوفاً وعطوفاً عليهم، يحبّهم ويعتني بهم، ويُظهر لهم أعظم المشاعر وأجملها وأجلّها، فيرفع شأنهم ويُكرمهم ولا يذلّهم ويهينهم، ويعطف عليهم ولا يؤذيهم، وينصحهم دون تعنيفٍ وتجريحٍ، وقد جعل رسول الله معاملة الرجل لزوجته وأهل بيته بالحُسنى معياراً من المعايير التي يتفاضل بها الرجل عن غيره، فقال ﷺ: (خيرُكُم :خَيرُكُم لأَهْلِهِ وأَنا خيرُكُم لأَهْلي)[٤]، وقد روت عائشة –رضي الله عنها– حديثاً تصف فيه رحمة رسول الله ﷺ في تعامله فقالت: (ما ضَرَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ بيَدِهِ، ولَا امْرَأَةً، ولَا خَادِمًا، إلَّا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبيلِ اللهِ).[٥]

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٩/٤٢/ح٢٥٣٤١) واسناده صحيح رجاله ثقات، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب عمل النبي صلى الله عليه وسلم (٢٤٢/١٠/ح٢٠٦٥٩)

(٢) اخرجه أحمد في المسند (٣٩٠/٤١/ح ٢٤٩٠٣) إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآذان باب من كان في خدمة أهله فأقيمت الصلاة(١٥٢/١/ح٦٧٦)

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (حقوق الأولاد والأهلين) (٨٣٤٤/١٦٤/١١)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب: مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته (٤٧٧/٥/ ح٢٣٢٨)

المطلب الأول

تعامل النبي مع زوجاته

كان النبيّ ﷺ خير مثالٍ وقدوةٍ في تعامله مع زوجاته، فقد كان يعاملهم بالرحمة والرأفة والحكمة، ويظهر ذلك جليّاً في الكثير من المواقف في سيرته العطرة، ومن ذلك ما يأتي:

كان ﷺ يكنّي نساءه بأحب الأسماء إليهن، فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان يتلطف لها، ويناديها بأحب الأسماء إليها، فيقول لها» :يا عائش، كما ورد في الحديث أن رَسُولُ اللَّه ﷺ قال يَوْمًا: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ» فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى «تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ)(١)(وربما قال لها: يا حميراء[٢]«فكانت تفرح بهذه الألقاب، وبهذا التدليل.

وكان النبيّ الكريم سهلاً وليّناً وكريماً في التعامل مع زوجاته؛ فإن أرادت واحدةٌ منهنّ شيئاً لا محذور فيه فعله لها وكان بجانبها، ومن ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه أنه قال: أقبلنا مُهِلِّينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجٍّ مُفْرَدٍ، وَأَقْبَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بِعُمْرَةٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِسَرِفَ عَرَكَتْ، حَتَّى إِذَا قَدِمْنَا طُفْنَا بِالْكَعْبَةِ وَالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَحِلَّ مِنَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ، قَالَ فَقُلْنَا: حِلُّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْحِلُّ كُلُّهُ» فَوَاقَعْنَا النِّسَاءَ، وَتَطَيَّبْنَا بِالطِّيبِ، وَلَبِسْنَا ثِيَابَنَا، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلَّا أَرْبَعُ لَيَالٍ، ثُمَّ أَهْلَلْنَا يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَوَجَدَهَا تَبْكِي، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكِ؟» قَالَتْ: شَأْنِي أَنِّي قَدْ حِضْتُ، وَقَدْ حَلَّ النَّاسُ، وَلَمْ أَحْلِلْ، وَلَمْ أَطُفْ بِالْبَيْتِ وَالنَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَى الْحَجِّ الْآنَ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَاغْتَسِلِي، ثُمَّ أَهِلِّي بِالْحَجِّ» فَفَعَلَتْ وَوَقَفَتِ الْمَوَاقِفَ، حَتَّى إِذَا طَهُرَتْ طَافَتْ بِالْكَعْبَةِ وَالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب فضل عائشة رضي الله عنها (١/٧٩٠/ ح٣٧٦٨)
(٢) حميراء تصغير حمراء، يعني بيضاء. لسان العرب لابن منظور (٢/٥٨٦)

حَلَلْتِ مِنْ حَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ جَمِيعًا» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَطُفْ بِالْبَيْتِ حَتَّى حَجَجْتُ، قَالَ: «فَاذْهَبْ بِهَا، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْمِرْهَا مِنَ التَّنْعِيمِ» وَذَلِكَ لَيْلَةَ الْحَصْبَةِ [١]).[٢]

وكان النبي ﷺ يراعي صغر سن عائشة ويسمح لها باللعب مع مثيلاتها بالألعاب، ومن ذلك ما روته عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ [٣]مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي)[٤] وكان النبيّ يسمح لأهله بالاستمتاع والنظر إلى اللّهو المباح؛ ومنه أنه كان -ﷺ- يسمح لزوجاته بسماع الغناء المباح في العيد؛ فقد روت عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ[٥]، فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ [٦]الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «دَعْهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا)[٧] فقد كان يوم عيدٍ وسرورٍ، ولكون ذلك من اللّهو المُباح، وفي ذلك توسعةٌ من رسول الله على زوجاته وعياله للترويح عن أنفسهم، كما كان يرفقُ بهم ويُبسِطهم.

---

(١) الحصبة: التحصيب: إذا نفر الرجل من منى إلى مكة للتوديع ، أقام بالأبطح حتى يهجع بها ساعة من الليل ثم يدخل مكة (لسان العرب ٤٦٩/٢)

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب بيان وجوه الاحرام وأنه يجوز (٣١٩١/٢/ح١٢١٣) وأحمد في المسند (٤٠٠/٢٣/ح١٥٢٤٤)

(٣) يتقمعن، أي: يتغيبن ويدخلن البيت ويستترن منه، وأصله من القمع الذي على رأس الثمرة أي يدخلن فيه كما تدخل الثمرة في قمعها، لسان العرب(٧/ ٤٩٥)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الانبساط مع الناس (١٣١١/١/ح ٦١٣٠) ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عائشة (٥٧٣/٥/ح/٢٤٤٠)

(٥) بعاث: هُوَ بِضَمّ الْبَاء، يَوْمٌ مَشْهُورٌ كَانَ فِيهِ حَرْب بَيْنَ الأَوْس وَالْخَزْرَج. وبُعاث اسْمُ حِصْنٍ لِلأَوْسِ، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(١٣٩/١)

(٦) المزمار: هُوَ الآلة الّتي يُزَمَّر بهَا، المرجع السابق(٣١٢/٢)

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة أبواب العيدين باب الحراب والدرق يوم العيد (٢٠٥/١/ح ٩٤٩)

وكان النبيّ الكريم يُسابق سيّدتنا عائشة في الجرْي، ومن ذلك أنّ عائشة أم المؤمنين خرجت معه في سفرٍ، فطلب منها أن ينافسها بالسّباق، وكانت عائشة حينئذٍ نحيلة؛ أي نحيفة، فتسابقت معه، فسَبَقَتْه، ثمّ سافرت معه في مرةٍ أخرى، وقد سمِنت وزاد وزنها، فطلب منها أن يُسابقها، فتسابقوا وسَبقها، فضحك رسول الله – ﷺ وقال لها: (هذه بتلكِ السّبقةِ)[1] أي أنّه سبقها – ﷺ – كما سبَقَتْه في المرّة الأولى.

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه، كما ورد في رواية عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).[2]

وكانّ ﷺ يُرافق زوجاته في سفره، ويتحدّث معهنّ، ويقوم بتسليتهنّ، وكان حين يريد أن يخرج في سفرٍ له؛ أدخل أسماء زوجاته في قُرعةٍ، وفي مرّةٍ خرج اسم حفصة وعائشة، فأخذهما معه، وكان عليه السلام إذا حلّ اللّيل ذهب إلى عائشة ليسير معها ويتبادلا أطراف الحديث، فطلبت حفصة من عائشة أن تُبادلها البعير، فتركب كل واحدةٍ منهما على بعير الأخرى، فوافقت عائشة، وفي ذلك اليوم ذهب رسول الله إلى بعير عائشة فوجد عليه حفصة، فبقي معها يتحدّث إليها، وغارت السيّدة عائشة –رضي الله عنها)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب السبق على الرجل (٢٩/٣/ح٢٥٧٨) وابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء (٦٣٦/١/ح ١٩٧٩) وأحمد في المسند (١٤٤/٤٠/ ح٢٤١٨) اسناده حسن، في اسناده محبوب بن موسى وهو صدوق(تقريب التهذيب(٥٧١/٢) وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة وفضلها باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج (٥٣٨/١/ ح٢٥٩٣) ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٥٧٨/ح٢٤٤٥)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب القرعة بين النساء إذا أراد السفر (٥٢١١/١١٤٥/١) ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٥٧٨/٥/ ح٢٤٤٥)

وكان رسول الله ﷺ يوصي سائق الدّابّة أن يخفّف من السرعة أثناء قيادته؛ ذلك أن الدّابة حين تسمع صوت أقدامها فإنها تُسرع في السّير، فيخشى على المرأة من السقوط، فقد قال أنس بن مالك –رضي الله عنه–: (كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ له: أَنْجَشَةُ يَحْدُو، فَقالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: يا أنجشة، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بالقَوَارِيرِ[١]).[٢]

وكان يمزح مع نسائه، ويسمح لهنّ بالمزاح فيما بينهنّ، ومن ذلك (أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِخَزِيرَةٍ قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ ــ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ــ: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِنَّ أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَيْتُ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ بِيَدِهِ لَهَا، وَقَالَ لَهَا: «الْطَخِي وَجْهَهَا»، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَهَا، فَمَرَّ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّه، يَا عَبْدَ اللَّه، فَظَنَّ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ، فَقَالَ: «قُومَا فَاغْسِلَا وُجُوهَكُمَا»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا زِلْتُ أَهَابُ عُمَرَ لِهَيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) [٣]وهذا يدلّنا على عدل رسول الله –ﷺ– حتّى في المزاح، وفكاهته مع زوجاته، وملاطفته إيّاهنّ.

وكان رسول الله ﷺ يستمع لما ترويه إليه زوجاته من الطرائف؛ فعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: (قُلتُ يا رَسولَ اللّه، أرَأَيْتَ لو نَزَلْتَ وادِيًا وفيه شَجَرَةٌ قدْ أُكِلَ منها، ووَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ منها، في أيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ[٤] بَعِيرَكَ؟ قالَ: في الذي لَمْ يُرْتَعْ منها)،[٥] وقد كان قصد عائشة من سؤالها أنها الوحيدة من زوجاته التي تزوّجها بِكراً.

(١) القوارير جمع قارورة ويعني ضعفة النساء، وسمي النساء قوارير، لضعف عزائمهن تشبيها بقارورة الزجاج لضعفها، واسراع الانكسار إليها.(شرح النووي ١٥/٤٧٤)
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء (١/١٣١٥/٦١٤٩) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب رحمة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء (٥/٤٧٣١/ح ٢٣٢٣)
(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/٤٤٩/ح٤٤٥٩) وأورده الهيثمي في المجمع (٥٧٨/٤) وقال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن.
(٤) ترتع: الرتع، الرعي في الخصب والسعة(لسان العرب ٦٠/٤)
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب نكاح الابكار (١/١١١٧/ح ٥٠٧٧)

وكان -ﷺ- يحرص على تعليم زوجاته، ليجعل منهنّ قدوةً لنساء المؤمنين، ولأنّه مسؤولٌ عنهنّ كما قال: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[1].

كما كان يعلّمهنّ أداء العبادات؛ الفروض والنوافل، وقد روت أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-: (اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»)[2] فبعد ذلك أمر زوجاته بالقيام للصلاة، كما كان إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان اجتهد بالعبادة، وأيْقظ أهله للصلاة والدعاء، ويحرص رسولنا الكريم على تربيتهنّ على الإخلاص فيما يقُمْن به من العبادة.

وكان نبيّ الله يعلّم زوجاته الاستعاذة من كل شرّ، ويحثّهنّ على الإكثار من ذكر الله -تعالى-، مثل أذكار الصباح والمساء، وقد خرج من عند جويرية في يومٍ بعد صلاة الصبح، وعاد إليها بعد الضحى، فقال لها: (ما زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ قالَتْ: نَعَمْ، قالَ النبيُّ ﷺ: لَقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ مُنْذُ اليومِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)[3] فقد علّمها من الأذكار ما فيه الأجر الكبير لها مع التيسير عليها.

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب قول الله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (١٥٠٣/١/ح ٧١٣٨)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب العلم والعظة بالليل (٤٢/١/ح ١١٥) والترمذي في سننه أبواب الفتن باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم (٤٨٧/٤/ح ٧١٣٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٤٠/٤٤/ ح ٢٦٧٥٨) وأبو يعلى في مسنده (٤٩١/١٢/ح٧٠٦٨) وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق باب الأذكار ذكر الأمر بالتسبيح عدد خلق الله وزنة عرشه (١١٠/٣/ح ٨٢٨)

المطلب الثاني

تعامل النبي ﷺ مع أبنائه وبناته وأحفاده

حرص رسول الله -ﷺ على أن يكون أكثر الناس رعايةً لأهله، وإعالةً لهم، وصلةً بهم، وقد وُلِدَ له أربع بناتٍ وثلاثة أولاد، فكان يختار لهم أفضل الأسماء وأحسنها، وشاء الله -سبحانه- أن يموت أبناؤه الذكور في الصِّغر، وكان يفرح بولادة البنات، ويُظهر السرور على ذلك، ويشكر الله على هذه النّعمة الطيّبة، وربّاهنّ أحسن تربية، وأدّبهنّ أحسن تأديب، وزوّجهنّ أحسن الرّجال، وكان يستشيرهنّ في ذلك، ولا يُغالي في مهورهنّ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً).[1] وَالأُوقِيَّةُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ: أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَثِنْتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً أَرْبَعُ مِائَةٍ وَثَمَانُونَ دِرْهَمًا.

وكان حين تأتي إليه إحدى بناته يُكرمها ويستقبلها خير استقبال، فقد روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وهي تصف فاطمة إذا جاءت للرسول، فقالت: (وكانَتْ إذا دخلَتْ على النّبيِّ ﷺ قام إليها فقبّلها وأجلَسها في مجلِسه، وكان النّبيُّ ﷺ إذا دخَل عليها قامَتْ مِن مجلِسها فقبّلَتْه وأجلَسَتْه في مجلِسها).[2]

وكان رسول الله ﷺ يحثّ فاطمة ويأمرها بتحمّل مسؤولية نفسها، ويخبرها أنها محاسبةٌ عن نفسها أمام الله، وأنّه لا يستطيع أن ينقذها من الحساب، فكان يقول: (يا فاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النّارِ، فإنّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا)،[3] كما كان يدعوها ويحثّها على قيام الليل، فقد ثبت عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: (أنّ

(١) الترمذي في سننه كتاب النكاح باب ما جاء في مهور النساء (٢٧٤/٣/ح١١١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب الصداق (٩٠١/٢/ح٢١٠٦) وابن ماجه في سننه كتاب التكاح باب صداق النساء (١٦٨/٢/ح١٨٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب المناقب باب فضل فاطمة رضي الله عنها (٥١٢/٥/ح ٣٨٧٢) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قوله تعالى(وأنذر عشيرتك الأقربين)(٤٣٨/١/ح ٢٠٤)

رَسولَ اللّه ﷺ طَرَقَهُ وفَاطِمَةَ بِنْتَ النبيِّ عليه السّلَامُ لَيْلَةً، فَقالَ: أَلَا تُصَلِّيَانِ؟ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللّه، أَنْفُسُنَا بيدِ اللّه، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذلكَ ولَمْ يَرْجِعْ إِلَيّ شيئًا).(١)

وكان -ﷺ- يتفهّم ما يُصيب بناته من الحزن والغضب، ويغضب لهنّ، ففي يومٍ من الأيام خطب عليّ بنت أبي جهل، وكانت فاطمة بنت رسول الله على ذمّته، فلمّا عرفت فاطمة جاءت لأبيها تقول أن الناس يتحدّثون فيما بينهم أنّ رسول الله لا يغضب لبناته، فتشهّد رسول الله وقام إلى عليّ وقال له: (أمّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أبا العاصِ بنَ الرّبيعِ، فَحدّثَني وصَدَقَني، وإنّ فاطمَةَ بَضْعَةٌ مِنّي وإنّي أكْرَهُ أنْ يَسُوءَها، واللّه لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسولِ اللّه ﷺ وبِنْتُ عَدُوّ اللّه، عِنْدَ رَجُلٍ واحِدٍ)(٢) فتراجع عليّ عن فِعله.

وكان النبيّ -ﷺ- يحرص على إدخال الفرح إلى قلوبهنّ حتى في وقت الشدّة، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ «دَعَا فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فَسَارَّهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ، سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ الله ﷺ ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ، بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ، فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل (٢/٥٠/ح ١١٢٧)

(٢) المرجع السابق كتاب المناقب باب ذكر أصهار النبي صلى الله عليه وسلم (٥/٢٢/ ح٣٧٢٩) ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم (٦/٥/ح ٢٤٤٩)

مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ " قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ» قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ. (١)

وكان نبيّ الله يقف مع بناته في المصائب والشدائد، ويخفّف عنهنّ، فقد بعثت إليه إحدى بناته يوماً أنّ ابناً لها قد تُوفّي، فقال: (إنّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب)، فبعثت إليه مرةً أخرى ليذهب إليها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت؛ وصحابة غيرهم، فلمّا أحضروا المتوفّى؛ بكى رسول الله -ﷺ-، فقال سعد -رضي الله عنه-: (يا رَسولَ اللّه، ما هذا؟ فَقالَ: هذه رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللّهُ في قُلُوبِ عِبَادِهِ، وإنّما يَرْحَمُ اللّهُ مِن عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ).(٢)

وعن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي(٣) الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ(٤) قَيْنًا(٥)، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ»

قَالَ عَمْرٌو: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»(٦)وعلق القاضي عياض على هذا الحديث وقال: فيه بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته بالعيال والضعفاء، وفيه جواز الإسترضاع، وفيه فضيلة رحمة العيال وتقبيلهم.(٧)

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة بنت النبي رضي الله عنها (٦/٧/ح ٢٤٥٠)

(٢) المرجع السابق كتاب الجنائز باب البكاء على الميت (٢/٥٢٣/ح٩٢٣)

(٣) العوالي: القرى التي عند المدينة (شرح النووي ١٥/٤٧٠)

(٤) الظئر بكسر الظاء مهموزة، هي المرضعة ولد غيرها، وزوجها ظئر لذلك الرضيع.(المرجع السابق)

(٥) القين: بفتح القاف الحداد (نفس المرجع السابق)

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه (٥/٤٧٠/ ح٢٣١٦)

(٧) شرح النووي (١٥/ ٤٧٠)

تعامل النبي ﷺ مع أحفاده

كان تعامل رسول الله -ﷺ مع أحفاده ومع الأطفال الصّغار في المسجد بمنحىً آخر يختلف عمّا يتعامل به الكثير من الناس في وقتنا الحاضر، وفيما يأتي ذكر بعضٍ من هذه المواقف: كان الحسن والحسين -رضي الله عنهما- يصعدان على ظهر رسول الله -ﷺ- في صلاته وهو ساجدٌ، فإن قام أحدٌ يريد منعهما أشار إليه رسول الله أن يتركهما، فإذا فرغ من صلاته أخذهما إلى حضنه.)[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ، لاَ يُكَلِّمُنِي وَلاَ أُكَلِّمُهُ، حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ، فَقَالَ «أَثَمَّ لُكَعُ، أَثَمَّ لُكَعُ» فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سِخَابًا، أَوْ تُغَسِّلُهُ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ حَتَّى عَانَقَهُ، وَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ»[2]

قوله: (أَثَمَ لُكَعُ أَثَمَ لُكَعُ يَعْنِي حَسَنًا فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا) أَمَّا قَوْلُهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّهَارِ فَالْمُرَادُ قِطْعَةٌ مِنْهُ وَقَيْنُقَاعُ بِضَمِّ النُّونِ وفتحها وكسرها سبق مرات ولكع المراد به هنا الصغير وخباء فَاطِمَةَ بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَبِالْمَدِّ أَيْ بَيْتُهَا والسخاب بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ جَمْعُهُ سُخُبٌ وَهُوَ قِلَادَةٌ مِنَ الْقَرَنْفُلِ وَالْمِسْكِ وَالْعُودِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَخْلَاطِ الطِّيبِ يُعْمَلُ عَلَى هَيْئَةِ السُّبْحَةِ وَيُجْعَلُ قِلَادَةً لِلصِّبْيَانِ وَالْجَوَارِي وَقِيلَ هُوَ خَيْطٌ فِيهِ خَرَزٌ سُمِّيَ سِخَابًا لِصَوْتِ خَرَزِهِ عِنْدَ حَرَكَتِهِ مِنَ السَّخَبِ بِفَتْحِ السِّينِ وَالْخَاءِ يُقَالُ الصَّخَبُ بِالصَّادِ وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ إِلْبَاسِ الصِّبْيَانِ الْقَلَائِدَ وَالسَّخَبَ وَنَحْوَهَا من الزينة واستحباب تنظيفهم لا سيما عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَهْلَ الْفَضْلِ وَاسْتِحْبَابُ النَّظَافَةِ مُطْلَقًا قَوْلُهُ (جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ) فِيهِ اسْتِحْبَابُ مُلَاطَفَةِ الصَّبِيِّ وَمُدَاعَبَتِهِ رَحْمَةً لَهُ وَلُطْفًا وَاسْتِحْبَابُ التَّوَاضُعِ مَعَ الْأَطْفَالِ وَغَيْرِهِمْ.[3]

---

(١) اخرجه أحمد في المسند (٣٨٦/١٦/ح ١٠٦٥٩) إسناده حسن ، في اسناده كامل- وهو ابن العلاء أبو العلاء التميمي-: صدوق يخطئ (تقريب التهذيب (٤٩١/٢) وباقى رجاله ثقات .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الحسن والحسين(٥/ ٥٦٤/ح٢٤٢١)

(٣) شرح النووي (٥٦٤/١٥)

وعن أبي بكرة ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يحدثنا يوما والحسن بن علي في حجره، فيقبل على أصحابه فيحدثهم، ثم يقبل على الحسن فيقبله، ثم قال: (ابني هذا سيد، إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين)[١].

وكان النَّبِيَّ ﷺ يؤُمُّ النَّاسَ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَاتِقِه، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا). [٢] قال رسول الله -ﷺ-: (إِنِّي لَأَدْخُلُ في الصَّلَاةِ وأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فأسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فأَتَجَوَّزُ في صَلَاتي ممّا أَعْلَمُ مِن شِدّةِ وجْدِ أُمِّه مِن بُكَائِه).[٣] وعن جابر رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعَلَى ظَهْرِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يَقُولُ: «نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنِعْمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا»[٤].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين بن علي (٧٨٧/١/ ح ٣٧٤٦) و عبد الرزاق في المصنف (الجامع) باب ذكر الحسن (٣٧٠/١٠/ح٢١١٤٧)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة (١٠٩/١/ح٥١٦) ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب جواز حمل الصبيان في الصلاة (١٩٨/١/ح٥٤٣)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآذان باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (١٥٩/١/ ح ٧٠٩) وأحمد في المسند (١٢٣/١٩/ح ١٢٠٦٧)

(٤) اخرجه الطبراني في الكبير (٥٢/٣/ح٢٦٦١) ضعيف في اسناده مسروح أبو شهاب ضعيف

المطلب الثالث

هديه ﷺ في التعامل مع الخدم

تشكو كثير من مجتمعاتنا اليوم من سوء معاملة الخدم من أصحاب البيت أو العمل، أو خادمة تضربها صاحبة المنزل، وتحولت هذه المعاملة السيئة إلى ظاهرة مقلقة في الكثير من بلاد العالم، ووصل بعض شررها إلى المسلمين.

وإزاء هذه الظاهرة المقيتة نرصد هدي النبي – ﷺ– وتعامله مع الخدم وأضرابهم، فقد كان للنبي ﷺ موال خدم كثيرون، أَعتقَ أكثرهم حيث جاء صلى الله عليه وسلم بهذا الدين العظيم، الذي رفع به قدر العبيد ورغب بإعتاقهم، وكانت أخلاقه ﷺ يسعد بها كل من حوله، وكان أوفرهم نصيباً منها هم أقرب الناس إليه، ومنهم خدمه وإماؤه ﷺويكفي في هذا شهادة أنس بن مالك رضي الله عنه حين قال» :خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَشْرَ سنين، لَا وَاللَّه مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ! وَلَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَهُ؟(١)

وليس أدل على حسن معاملته لخدمه من أن زيد بن حارثة وكان يخدمه صلى الله عليه وسلم فطلبه أبوه وأهله؛ فأبى زيد بن حارثة أن يترك خدمته ﷺ وقدَّم خدمة رسول الله ﷺ على أهله! وجلس مع رسول الله ﷺ ليتشرف بخدمته،(٢) فكافأه ﷺ بأن تبنَّاه إلى أن أبطل الله التبني، وما ذاك إلا لحسن تعامله ﷺ، فبهذه المعاملة أسَرَ ﷺ قلوب من تعاملوا معه من العبيد.

وحكى أنس بن مالك ﷺ عن خدمة النبي ﷺ فقال:.فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟(٣) .

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب حسن خلقه ﷺ (٤٦٥/٥/ح٢٣٠٩) و أحمد في المسند (٣٣٥/٢٠/ح ١٣٠٣٥) وعبد الرزاق في المصنف (٤٤٣/٩/ح١٨٢٦٦)

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (٢١٩/٦) بتصرف

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا باب استخدام اليتيم في السفر والحضر(٢٧٦٨/٥٨٤/١) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب جوده ﷺ وحسن خلقه (٤٦٥/٥/ ح٢٣٠٩)

وقد أوصى النبي ﷺ بالخدم رحمةً بهم، وأقر لهم حقوقًا تُكفِّلُ لهم الحياة الإنسانية والمعاملة الكريمة، فعن أبي ذر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:(هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ) [١] بل وأمر ﷺ بمؤاكلتهم من الطعام الذي يقدمونه.

وقد ثبت أن النبي ﷺ لم يضرب خادما قط، ويدل على ذلك ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٢])

وحث على الرفق بالمماليك وحسن صحبتهم وكف الأذى عنهم، فقال:(من لطم مملوكه او ضربه فكفارته أن يعتقه)[٣]

وقد حذر النبي ﷺ في حديث آخر من سوء معاملة الخدم أبلغ تحذير وأشده حين قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ» . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَكْثَرُ الْأُمَمِ مَمْلُوكِينَ وَيَتَامَى؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَأَكْرِمُوهُمْ كَكَرَامَةِ أَوْلَادِكُمْ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ»[٤]، والمراد سيء المعاملة مع العبيد والخدم.[٥]

حتى وهو ﷺ على فراش الموت أوصى بملْك اليمين – وهم الخدم الأرقاء المملوكين- فقال : الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال» :كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن (١٢٩٧/١/ح ٦٠٥٠)
(٢)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله (٤٧٧/٥/ح٢٣٢٨) و أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في التجاوز في الأمر (٣٥٠/٤/ح٤٧٦٨)
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأيمان باب صحبة المماليك (٢٨٧/١١/ح١٦٥٧)
(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب الاحسان إلى المماليك (١٢١٧/٢/ح٣٦٩١) في اسناده فرقد السبخي صدوق لين الحديث كثير الخطأ (تقريب التهذيب٤٧٤/٢)
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٥٨/٤)

أَيْمَانُكُمْ، حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرَهُ وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ)أي: ما يقدر على الإفصاح بها[1] عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »الصَّلَاةَ ،الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ[2].)

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٨٤/٣)

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله (٢/ ٦٩/ ح ١٦٢٥) وقال البوصيري في الزوائد: اسناده صحيح على شرط الشيخين (٥٥/٢)، وأحمد في المسند (٢٨٢/٢٤/ح٢٦٦٥٧) قال أبو حاتم- فيما نقله ابنه في "العلل" ١١٠/١-١١٥-: والصحيحُ حديث همَّام، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن سَفِينة، عن أم سَلَمة. وهذا ما عند أحمد . وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٩٢/٦/ح٦٩٠٠)

المبحث الثالث

هديه ﷺ في معاملة غير أهل بيته

المطلب الأول

هديه ﷺ في معاملة جيرانه

حرص النبي ﷺ على أن يبنى مجتمعًا إسلاميًا ينعم بالسلم الاجتماعي وإشاعة روح الحب والمودة بين الناس، وقد حثنا الله تعالى في كتابه العزيز على الإحسان إلى الجار فقال:﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [1] من أجل ذلك وضع النبي ﷺ آدابًا وحقوقًا للتعامل مع الجار حتى نوفى حق الجار، وعلمها لأصحابه الكرام فقال لهم: «أتدرون ما حق الجار: إن استعانك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهةً فأهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده، ولا تؤذه بقتار[2] قدرك إلا أن تغرف له منها)[3]

فكان النبيّ -ﷺ - أحسن النّاس تعاملاً مع جيرانه، وقد كان دائم الوصيّة بالجار، ومن حرص النبى- ﷺ- على حقوق الجيرة، فقد شدد على ضرورة تفقد أحوال الجيران ومد يد العون إليهم، فقال: «ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره إلى

(١) النساء:٣٦
(٢) القتار:عند العرب ريح الشواء إذا شوي على الجمر(لسان العرب ٢٣٩/٧)
(٣) الخرائطي في مكارم الأخلاق (٩٤/١/ح٢٤٧)

جانبه جائع وهو يعلم.)[1] « فقد أوصى أبا ذرٍ فقال له: (يا أبا ذَرٍّ، إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فأكْثِرْ ماءَها، وتَعاهَدْ جِيرانَكَ)[2] .

كما حذّر من الإساءة إلى الجار فقال -ﷺ-: «وَاللَّه لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّه لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّه لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)[3] وعن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)[4]والْبَوَائِقُ: بِالْمُوَحَّدَةِ وَالْقَافِ جَمْعُ بَائِقَةٍ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ والغائلة وَالشَّيْءُ الْمُهْلِكُ وَالْأَمْرُ الشَّدِيدُ الَّذِي يُوَافِي بَغْتَةً.[5]

وقد كان النبيّ يتصدّق على جيرانه المحتاجين ويُهدي إليهم، ففي يومٍ من الأيّام أمر -ﷺ- أهل بيته بذبح شاة وتوزيعها بين الجيران، وكان أحبّ شيءٍ إليه الذراع، فلمّا قدم سأل عائشة -رضي الله عنها-: (ما بقيَ منْها؟ قلت: ما بقيَ منْها إلّا كتفُها، قالَ: بقيَ كلُّها غيرَ كتفِها)،[6] ويقصد بذلك الثواب والأجر، وكان -عليه الصلاة والسلام يواسي أصحابه وجيرانه، ويحرص على زيارة المريض منهم، فعن زيد بن أرقم -ﷺ- قال: (عادَني النّبيُّ ﷺ مِن وجَعٍ كانَ بعَيني). [7]

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب البيوع (٨٣١/٣/ ح٢١٦٦) وسكت عنه وقال الذهبي: عبد العزيز بن يحي ليس بثقة. والبيهقي في شعب الايمان (اكرام الجار) (٨٧/١٢/ح٩٠٨٩) وأبو يعلى في مسنده (٥٤٩/٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧/٨) وقال رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان اليه (١٣٥/٦/ح٢٦٢٥)
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٦٠١٦/١٢٩١/١)
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان تحريم إيذاء الجار (٢١٣/١/ح٤٦)
(٥) فتح الباري (٤٤٣/١٠) وشرح النووي (٢١٣/٢)
(٦) أخرجه الترمذي في الجامع كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٣٣ ح٢٤٧٠) وقال هذا حديث صحيح. وأحمد في المسند (٢٨٦/٤٠/ح ٢٤٢٤٠)
(٧) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجنائز باب في العيادة من الرمد (١٨٦/٣/ح٣١٠٢) والحاكم في المستدرك كتاب الجنائز (٤٩١/١/ح١٢٦٥) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الجنائز باب العيادة من الرمد (٥٣٥/٣/ح٦٥٨٨)

وكان النبيّ ﷺ يصبر على أذى جيرانه في مكّة، حيث جاورَ رسول الله -ﷺ - العديد من الناس على اختلاف دينهم وصفاتهم وأخلاقهم في مكّة المكرمة والمدينة المنورة، أمّا جيرانه في مكّة فقد نال منهم صور متعدّدة من الأذى، ومن ذلك أذى جاره وعمّه أبو لهب، خاصّة عندما بدأ النبيّ بدعوته، وزوجته أم جميل التي كانت لا تتوانى في فعل كل ما يؤذي رسول الله -ﷺ-؛ كوضع الشوك والقاذورات في طريقه أو أمام بيته، وكذلك أمرهما لأبنائهما بتطليق بنات النبيّ -ﷺ- بسبب دعوته، (١)

وأذى جاره عقبة بن أبي معيط الذي حاول خنق رسول الله - ﷺ - بردائه، فدفعه أبو بكرٍ -رضي الله عنه-.روى البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عبد الله **ابْنَ عَمْرِو بْنِ** العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا» فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} (٢)

وأمّا جيرانه -ﷺ - في المدينة المنورة، فقد أحسنوا استقباله فور وصوله إليهم، فما مرّ رسول الله -ﷺ- بأحد أحياء الأنصار إلّا سارع أهله بدعوته للنزول عندهم حبّاً وطمعاً في جواره، إلى أن بركت ناقته في حيّ أخواله بني النّجار، ونزل في بيت أبي أيوب الأنصاري، لأنّه كان الأقرب، فقد صحّ عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنّه قال: (فقالَ نَبِيُّ اللّهِ ﷺ: أيُّ بُيُوتِ أهْلِنا أقْرَبُ. فقالَ أبو أيُّوبَ: أنا يا نَبِيَّ

(١) الرحيق المختوم (٧٥/١و٧٦)
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (٨٠٦/١/ح٣٨٥٦)

اللّه، هذه دارِي وهذا بابِي، قالَ: فانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لنا مَقِيلًا، قالَ: قُوما علَى بَرَكَةِ اللّهِ)[1]

وأمّا المهاجرين الذين نالوا شرف مجاورته – ﷺ – فكان منهم أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، والعباس –رضي الله عنهم– ولا بدّ من الإشارة إلى حرص رسول الله – ﷺ – على التّهادي مع جيرانه، ومن ذلك قدح اللبن الذي قدّمه لأبي هريرة –رضي الله عنه– عندما جاع، وتشارك فيه مع أهل الصفّة. وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِها «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: " الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا "[2]

وحث النبي ﷺ على التهادي بين الجيران ولو بالقليل، فقال رسول الله – ﷺ – : (يا نِساءَ المُسْلِماتِ، لا تَحْقِرَنّ جارَةٌ لِجارَتِها، ولو فِرْسِنَ شاةٍ)[3] ويُقصَد بفرسن الشاة خفّ البعير، حيث إنّ عظمه قليل اللحم.[4] وقد حث النبي ﷺ على مواساة الجار، والتّخفيف من أحزانه، والسؤال عن أحواله، فقال: (ليس المؤمنُ بالذي يشبعُ وجارُه جائعٌ إلى جنبِهِ)[5] والذي يَظهر من الحديث أمرين: أوّلهما أنه يَحرم على الجار الغنيّ أن يترك جاره الفقير بحاجةٍ للطعام أو الكسوة أو غير ذلك من ضروريات الحياة، وثانيهما أنه لا تبرأ ذمّة الغنيّ بإخراج حقّ الزكاة من ماله فحسب، بل هناك العديد من الحقوق التي لا بدّ من القيام بها حتى يُخرِج نفسه من

(١) المرجع السابق كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه (٥/٨١٩/ح٣٩١١)
(٢) المرجع السابق كتاب الهبة باب القليل من الهبة (٣/١٥٣/ح٣٥٦٧)
(٣) نفس المرجع كتاب الأدب باب لا تحقرن جارة لجارتها (٨/١٠/ح٦٠١٧)
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٢٩)
(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، اكرام الجار (١٢/٨٧/ح٩٠٨٩) اسناده ضعيف، في اسناده عبد الله بن أبي المساور مقبول من الرابعة (تقريب التهذيب ١/٣١٣)

الوعيد الذي أشار إليه الله -تعالى- بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١) وقد حث النبي ﷺ على مواساة الجار وصنع الطعام له إذا وقعت في بيته حالة وفاة فقال:(اصنَعوا لآلِ جعفرٍ طعاماً، فقد أتاهم أمرٌ يشغلُهُم أو أتاهم ما يَشغلُهُم).(٢)

قَالَ الطِّيبِيُّ دَلَّ عَلَى أنه يستحب لِلْأَقَارِبِ وَالْجِيرَانِ تَهْيِئَةُ طَعَامٍ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ.(٣)

قال ابن الْعَرَبِيِّ فِي الْعَارِضَةِ :(٤)وَالْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي الْمُشَارَكَاتِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ ، والسُّنَّةُ فِيهِ أَنْ يُصْنَعَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ لِقَوْلِهِ ﷺ فَقَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنْ حَالِهِمْ فَحُزْنُ مَوْتٍ وَلِيِّهِمْ اقْتَضَى أَنْ يُتَكَلَّفَ لَهُمْ عَيْشُهُمْ ، وَقَدْ كَانَتْ لِلْعَرَبِ مُشَارَكَاتٌ وَمُوَاصَلَاتٌ فِي بَابِ الْأَطْعِمَةِ بِاخْتِلَافِ الْأَسْبَابِ وفي حالات اجتماعها انتهى قال ابن القاري: وَالْمُرَادُ طَعَامٌ يُشْبِعُهُمْ يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتَهُمْ فَإِنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الْحُزْنَ الشَّاغِلَ عَنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ لَا يَسْتَمِرُّ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ ثُمَّ إِذَا صَنَعَ لَهُمْ مَا ذُكِرَ سُنَّ أَنْ يُلِحَّ عَلَيْهِمْ فِي الْأَكْلِ لِئَلَّا يَضْعُفُوا بِتَرْكِهِ اسْتِحْيَاءً أَوْ لفرط جزع.(٥)

وللجار الأولوية بشراء بيت جاره أو أرضه، لِقول رسول الله – ﷺ : (مَن كانت له أرضٌ فأراد بَيْعَها فَلْيَعْرِضْها على جارِه)(٦)

(١) التوبة: ٣٤

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لأهل الميت (١٣٦٨/٣/ ح٣١٣٢) و الترمذي في الجامع كتاب الجنائز باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت (٣١٤/٣/ح٩٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك كتاب الجنائز (٥٣١/٢/ح١٣٧٧) وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري(٤٧٩/٣)

(٤) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي (١٠٩٨)

(٥) تحفة الأحوذي (٣/ ٤٧٩)

(٦) اخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الشفعة باب من باع رباعا فليؤذن شريكه (٣٩٠/٢/ح٢٤٩٢) وقال البوصيري في الزوائد(٩٠/٣) اسناده صحيح ورجاله ثقات.

وقد جعل النبي ﷺ عدم إيذاء الجار من علامات الإيمان، فقال:

(مَن كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِي جارَهُ)[1].

ومن صور إيذاء الجار؛ إطلاق البصر على عوراته ومحارمه، فقد حذّر رسول الله -ﷺ- من ذلك حتى عدّه من أعظم الذنوب عند الله -تعالى-، لما صحّ عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنّه قال: (سَأَلْتُ النبيّ ﷺ: أيُّ الذّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللّهِ) فعدّ رسول الله أموراً إلى أن قال: (أنْ تُزانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ) [2]، وَقَوْلُهُ ﷺ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ: هِيَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَهِيَ زَوْجَتُهُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا تَحِلُّ لَهُ وَقِيلَ لِكَوْنِهَا تَحِلُّ مَعَهُ وَمَعْنَى تُزَانِي أَى تزنى بها برضاها وذلك يتضمن الزنى وَإِفْسَادَهَا عَلَى زَوْجِهَا وَاسْتِمَالَةَ قَلْبِهَا إِلَى الزَّانِي وَذَلِكَ أَفْحَشُ وَهُوَ مَعَ امْرَأَةِ الْجَارِ أَشَدُّ قُبْحًا وَأَعْظَمُ جُرْمًا لِأَنَّ الْجَارَ يَتَوَقَّعُ مِنْ جَارِهِ الذَّبَّ عَنْهُ وَعَنْ حَرِيمِهِ وَيَأْمَنُ بَوَائِقَهُ وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَقَدْ أُمِرَ بِإِكْرَامِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَإِذَا قَابَلَ هَذَا كُلَّهُ بِالزِّنَى بِامْرَأَتِهِ وَإِفْسَادِهَا عَلَيْهِ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهَا عَلَى وَجْهٍ لَا يَتَمَكَّنُ غَيْرُهُ مِنْهُ كَانَ فِي غَايَةٍ مِنَ الْقُبْحِ.[3]

وقد دعا رسول الله – ﷺ – إلى الصبر وتحمّل أذى الجار وعدم ردّ أذاه، فقال -ﷺ-: (ثلاثةٌ يُحبُّهمُ اللهُ)؛ وذكر منهم: (الرّجلُ يكونُ له الجارُ يُؤْذيهِ جِوارُه، فيَصبِرُ على أَذاهُ حتى يُفرِّقَ بينَهما موتٌ أو ظَعنٌ[4])[5] .

وجعل النبي ﷺ من علامات الايمان الاحسان إلى الجار فقال: (مَن كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ)[6]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان تحريم إيذاء الجار (٢١٣/١/ح٤٧)

(٢) المرجع السابق كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (٩٠/١/ح ٨٦)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٨١/٢)

(٤) الظعن: ظعن يظعن ظعنا أي ذهب وسار، والظعن سير البادية من بلد إلى بلد.(لسان العرب (١٣/٦)

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٨/٣٥/ح٢١٣٤٠) ضعيف في اسناده ابن الأحمسي وهومجهول، تفرد بالرواية عنه أبو العلاء.

(٦)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب اكرام الجار والضيف (٢١٤/١/ح٤٨)

فقد عظّم رسول الله – ﷺ – حقّ الجار، حتى كاد أن يجعله بمنزلة الوارث كما أُشير إلى ذلك في حديث (ما زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[1] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الوصاة بالجار (١/١٢٩١/ح٦٠١٤) ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (٥/ ١٣٥/ح٢٦٢٤)

المطلب الثاني

هديه ﷺ في معاملة أصحابه

لقد جعل الله تعالى نبيه محمداً – ﷺ – أسوة حسنة لنا، وإن الواجبَ على كل مسلمٍ ومسلمة، أن يتأسّى برسول الله– ﷺ – في كل جوانبِ حياتهم، فإن ذلك هو الطريق الوحيد لنيل الأمن والسعادة في الدنيا، والفوز والنعيم في الآخرة. ومن أعظم ما نتأسى به برسول الله – ﷺ – هو علاقته بأصحابه – رضى الله عنهم–، فعلاقته بهم ترتكز على المحبة والمودة وحسن التآلف وجميل العشرة، فقد كان في مجلسه يعطى لكل جليس نصيبه حتى يظن كل رجل في المجلس أنه أحب الخلق عنده.

مواقف من معاملات النبى – ﷺ – مع أصحابه:

١– مزاحه مع أصحابه: لا شك أن من مكارم الأخلاق إدخال السرور على المسلم ، ومن ثم فقد كان مزاحه – ﷺ – تأليفا ومداعبة ، وتفاعلا مع أهله وأصحابه ، وإدخالا للسرور عليهم، وكان مشتملاً على كل المعاني الجميلة ، والمقاصد النبيلة ، فصار من شمائله الحسنة ، وصفاته الطيبة – ﷺ–، فلم يمنعه ﷺ مقام النبوة والرسالة أن يكون منبسطا مع أصحابه، يمزح معهم، ويضاحكهم ويمازحهم، ومن المواقف الدالة على ذلك: – قدم صهيب على النبي –ﷺ– وبين يديه تمر وخبز قال: أدن فكل، فأخذ يأكل من التمر، فقال له النبي –ﷺ–:(إن بعينك رمداً)، فقال: يا رسول الله: إنما آكل من الناحية الأخرى. فتبسم رسول الله ﷺ)[1].

وكان مزاحه ﷺ تأليفا ومداعبة وتفاعلا مع أهله وأصحابه وإدخالا للسرور عليهم وكان مشتملاً على كل المعاني الجميلة والمقاصد النبيلة – عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ،

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب الحمية (٣/ ٢١٥/ح٣٤٤٣) وقال البوصيري في الزوائد: اسناده صحيح. وأحمد في المسند (٣٨/٢٤١/ح٢٣١٨٠)

فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ ". وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟ " فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ: لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ)[1]

–ومن مزاحه ﷺ مع أصحابه أنه كان يقول لهم: «ارْمُوا مَنْ بَلَغَ الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً» قَالَ ابْنُ النَّحَّامِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدَّرَجَةُ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمِّكَ، وَلَكِنْ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ»). [2] فمزاحه ﷺ – معهم لم يكن إلا حقاً، وكان سببا رئيسيا في التلاحم والقرب من الصحابة، فهو – ﷺ – يكسب قلوبهم بأبسط المواقف.

٢– مشاركته لأصحابه في البلاء والشدة والفرح: كان – ﷺ – يشارك أصحابه في أفراحهم وأحزانهم فيبدلها فرحاً، ويواسيهم، فيشعرون أنهم ليسوا وحدهم في محنتهم، حتى يخفف عنهم ما هم فيه من البلاء،

ومن صور ذلك:

– كَانَ النبي ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَلَكَ فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَزِنَ عَلَيْهِ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/٩١/ح١٢٦٤٨) واسناده صحيح ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٣/٢٢٥/ ح٣٤٤٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد((٩/٣٦٨) وقال رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢)أخرجه النساني في سننه كتاب الجاد باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله عزوجل (٦/٢٨/ح ٣١٤١) واللفظ له، وأبو داود في سننه كتاب العتق باب أي الرقاب أفضل (٤/ ١٧٠٥/ ح٣٩٦٥) الحديث اسناده صحيح رجاله ثقات.

فُلَانُ أَيُّمَا كَانَ أَحَبّ إِلَيْكَ أَنْ تمتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ قَالَ فَذَاكَ لَكَ) [1]

٣- **قيامه ﷺ بحماية أصحابه:** لم يكن النبي – ﷺ – من أولئك الرؤساء الذين يحتمون بجندهم وحاشيتهم، بل كان أشجعهم، يتقدمهم وقت الخوف والفزع، فيحتمون به لا أن يحتمي هو بهم. ومن أدلة ذلك عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَجْوَدِ النَّاسِ وَأَشْجَعِ النَّاسِ قَالَ وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا قَالَ فَتَلَقَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ فَقَالَ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا)[2] .

قوله: (لَمْ تُرَاعُوا) بِضَمِّ التَّاءِ وَالْعَيْنِ مَجْهُولٌ مِنَ الرَّوْعِ بِمَعْنَى الْفَزَعِ وَالْخَوْفِ أَيْ لَمْ تُخَافُوا وَلَمْ تُفْزَعُوا وَأَتَى بِصِيغَةِ الْجَحْدِ مُبَالَغَةً فِي النَّفْيِ وَكَأَنَّهُ مَا وَقَعَ الرَّوْعُ وَالْفَزَعُ قَطُّ (لَمْ تُرَاعُوا) كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا أَوْ كُلٌّ لِخِطَابِ قَوْمٍ مِنْ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ. [3]

فهنا نرى كيف سبقهم – ﷺ – إلى مصدر الصوت حتى يطمئن أصحابه، ويهدئ من روعهم.

٤- **استشارة النبي ﷺ لأصحابه:** وقد كان النبي – ﷺ – يُكثر من مُشاورة أصحابه في قضايا الحروب والسِّلْم؛ رغم أنه ﷺ لم يكن يحتاج لرأيهم؛ لأنه ﷺ كان مؤيدا بالوحي من عند الله تعالى، لكنه كان يستشير أصحابه؛ ليعلمهم الشورى في حياتهم، حتَّى قال أبو هريرة – ﷺ–: "ما رأيت أحداً أكثر مُشاورةً لأصحابه من رسول الله – ﷺ) [4]

فمنها مشاورته ﷺ أصحابه في أسارى بدر، وأخذه برأي أبي بكر الصديق ﷺ.

---

(١) اخرجه النسائي في سننه كتاب الجنائز باب في التعزية (١١٨/٤/ح٢٠٨٨)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة باب من استعار من الناس الفرس والدابة (٥٤٥/١/ ح٢٦٢٧) والترمذي في الجامع كتاب الجهاد باب ما جاء في الخروج عند الفزع (١٩٩/٤/ح ١٦٨٧)وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح. وابن ماجه في سننه كتاب الجهاد باب الخروج في النفير (٤٩٩/٢/ ح٢٧٧٢)

(٣) تحفة الأحوذي (٢٧٥/٥)

(٤)أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب السير باب ما يستحب للإمام استعمال المهادنة بينه وبين أعداء الله(٢١٧/١١/ح ٤٨٧٢)

ومنها مشاورته ﷺ أصحابه يوم أحد هل يتحصنوا بالمدينه أو يخرجوا، واستقر الرأي على الخروج ولقاء العدو.

ومنها مشاورته ﷺ أصحابه في خطة الدفاع عن كيان المدينة في غزوة الأحزاب، وأخذه برأي سلمان الفارسي ﷺ بحفر الخندق(١)

٥- رفضه ﷺ استهزاء أحد الصحابة بالآخر: ومن حسن صحبته - ﷺ - بأصحابه، أنه كان يعلم أصحابه أن يحترم بعضهم بعضا، وأن من الصحبة أن لا يستهزئ أحد بصاحبه، بل يحبه ويقدره ويحترمه، ويظهر ذلك أمام الجميع، حبا لصاحبه. فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّ تَضْحَكُونَ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ)(٢) فهنا نرى كيف أنكر-ﷺ- هذا الموقف من الصحابة ، وبين لهم انه ربما الذى يستهزئون به عند الله أفضل منهم.

هذه بعض صور الصحبة في حياة النبي ﷺ ، وكيف كان يتعامل مع أصحابه، عسانا أن نقتدي بها في صحبتنا مع الآخرين.

(١) الرحيق المختوم (٢٢٩/١و٢٤٨و٢٩٧)

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩٨/٧/ح ٣٩٩١) اسناده حسن، فيه عاصم بن أبي النجود صدوق له أوهام (تقريب التهذيب ١/ ٢٦٦)وبقية رجاله ثقات.

المطلب الثالث

هديه ﷺ في بيعه وشرائه

يمكن تلخيص هدي النبي ﷺ في البيع، والشراء فيما يلي :عمل النبي ﷺ بالتجارة قبل البعثة مع عمه أبي طالب، وعمل لخديجة كذلك، وسافر لذلك إلى بلاد الشام، وكان أيضا يتاجر في الأسواق ؛ فمجنة ، وعكاظ وذي المجاز: كانت أسواقاً في الجاهلية ، وكان التجار يقصدونها للبيع ، والشراء.

– وكان النبي ﷺ يباشر البيع بنفسه ، كما جاء في حديث جمل عمر ، وجمل جابر رضي الله عنهما، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ قَالَ : فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَا لِي وَضَرَبَهُ فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ قَالَ : (بِعْنِيهِ بِأُوقِيَّةٍ) قُلْتُ : لاَ ، ثُمَّ قَالَ : (بِعْنِيهِ) ، فَبِعْتُهُ بِأُوقِيَّةٍ وَاسْتَثْنَيْتُ عَلَيْهِ حُمْلاَنَهُ إِلَى أَهْلِي فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ فَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِي فَقَالَ : (أَتُرَانِي مَاكَسْتُكَ لآخُذَ جَمَلَكَ خُذْ جَمَلَكَ وَدَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ)[1] ، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى بَكْرٍ صَعْبٍ لِعُمَرَ ، فَكَانَ يَغْلِبُنِي فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ : (بعنيه) قَالَ : هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (بِعْنِيهِ) فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ).[2]

أو يُوكل ذلك إلى أحد من أصحابه، كما في حديث عُرْوَةَ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ قَالَ: أَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ دِينَاراً يَشْتَرِي بِهِ أُضْحِيَةً أَوْ شَاةً – فَاشْتَرَى شَاتَيْنِ ، فَبَاعَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب شراء الدواب والحمر (٤٣٦/١/ح٢٠٩٧) ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر (٤٤/٤/ح١٤٦٦)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة باب من أهدى له هديه وعنده جلساؤه فهو أحق (٥٤٢/١/ح ٢٦١٠)

إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ ، فَأَتَاهُ بِشَاةٍ وَدِينَارٍ ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ ، فَكَانَ لَوِ اشْتَرَى تُرَابًا لَرَبِحَ فِيهِ[١].)

–و كان ﷺ يأمر التجار بالبرِّ، والصدق، والصدقة.

عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)[٢].

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: التاجر الصدوق الأمين مع النبين والصديقين والشهداء)[٣] .

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ) فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: (إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّاراً ، إِلاَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ)[٤].

وعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ قال: كان ﷺ يقول: (يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ وَالْحَلِفُ ، فَشُوبُوهُ [٥]بِالصَّدَقَةِ)[٦].

–وكان ﷺ يأمر بالسماحة، واليسر، في البيع والشراء.

---

(١)خرجه البخاري في صححه كتاب المناقب (٤٦٦/١/ح٣٦٤٢) أ وأبو داود في سننه كتاب البيوع باب المضارب يخالف (٢٥٦/٣/ح ٣٣٨٤) و الترمذي في الجامع كتاب البيوع (٥٥١/٣/ح١٢٥٨)

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا (٤٣٢/١/ح٢٠٧٩) ومسلم في صحيحه كتاب البيوع باب الصدق في البيع والبيان (١٣٥/٤/ح ١٥٣٢)

(٣)أخرجه الترمذي في الجامع كتاب البيوع باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم (٣/ ٣٣٥/ح ١٢٠٩) وقال هذا حديث حسن ، والدارمي في سننه كتاب البيوع باب في التجار (٣٢٢/٢/ ح٢٥٣٩)

(٤) أخرجه الترمذي في الجامع كتاب البيوع باب ما جاء في التجار وتسمية الرسول إياهم (٣٣٥٠٧/٣/ح ١٢١٠) وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في سننه كتاب التجارات باب التوقي في التجارة (٧٢٦/٢/ح ٢١٤٦)والحاكم في المستدرك ، كتاب البيوع (٨١٣/٢/ح٢١٤٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) الشوب : الخلط، فشوبوا أي: اخلطوا (لسان العرب ٢٢٤/٥)

(٦)أخرجه أبو داود في سننه كتاب البيوع باب في التجارة يخالطها الحلف واللغو (٢٤٢/٣/ ح٣٣٢٦) والترمذي في الجامع كتاب البيوع باب ما جاء في التجار وتسمية النبي إياهم (٥٠٦/٣/ح١٢٠٨) وقال: حديث قيس بن أبي غرزة حديث حسن صحيح.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ ال ﷺ قَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى).[1]

قال ابن حجر رحمه الله: وفيه الحض على السماحة في المعاملة , واستعمال معالي الأخلاق , وترك المشاحة , والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة ، وأخذ العفو منهم[2].

ومن صور سماحته ﷺ:

– عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى بَكْرٍ صَعْبٍ لِعُمَرَ ، فَكَانَ يَغْلِبُنِي فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ : (بِعْنِيهِ) قَالَ : هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (بِعْنِيهِ) فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ)[3].

– وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ قَالَ : فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ ﷺفَدَعَا لِي وَضَرَبَهُ فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ قَالَ : (بِعْنِيهِ بِأُوقِيَّةٍ) قُلْتُ : لاَ ، ثُمَّ قَالَ : (بِعْنِيهِ) ، فَبِعْتُهُ بِأُوقِيَّةٍ وَاسْتَثْنَيْتُ عَلَيْهِ حُمْلاَنَهُ إِلَى أَهْلِي فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ فَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِي فَقَالَ : (أَتُرَانِي مَاكَسْتُكَ[4] لآخُذَ جَمَلَكَ خُذْ جَمَلَكَ وَدَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ). [5]

– وكان ﷺ يحسن أداء الحقوق لأهلها ، ويحث عليها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِي ﷺ سِنٌّ مِنَ الإِبِلِ فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ فَقَالَ: (أَعْطُوهُ) ، فَطَلَبُوا سِنَّهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلاَّ سِنًّا فَوْقَهَا فَقَالَ (أَعْطُوهُ) ، فَقَالَ : أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهُ بِكَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً).[6]

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب السهولة والسماحة في الشراء والبيوع (٤٣١/١/ح٢٠٧٦)
(٢) فتح الباري (٣٠٧/٤)
(٣) سبق تخريجه منذ قليل
(٤) المكس: انتقاص الثمن في البيع (لسان العرب ٣٣٩/٨)
(٥) سبق تخريجه منذ قليل
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستقراض وأداء الديون باب حسن القضاء (٤٩٥/١/ح ٢٣٩٣) ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه (٢١٥/٤/ح١٦٠١)

-وكان ﷺ يحث على إقالة النادم.

عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَقَالَ مُسْلِماً أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). [1] والإقالة : هي المسامحة ، والتراجع عن البيع ، أو الشراء ، وتدل على كرمٍ في النفس وفي الشرع: رَفْعُ الْعَقْدِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْمُتَعَاقِدَيْنِ ، وَهِيَ مَشْرُوعَةٌ إِجْمَاعًا وَلَا بُدَّ مِنْ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا وَهُوَ أَقَلْتُ أَوْ مَا يُفِيدُ مَعْنَاهُ عُرْفًا (مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا) أَيْ بَيْعَهُ (أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ) أَيْ غَفَرَ زَلَّتَهُ وَخَطِيئَتَهُ.

وصُورَةَ إِقَالَةِ الْبَيْعِ: إِذَا اشْتَرَى أَحَد شَيْئًا مِنْ رَجُل ثُمَّ نَدِمَ عَلَى شرائه، إِمَّا لِظُهُورِ الْغَبْنِ فِيهِ أَوْ لِزَوَالِ حَاجَتِه إِلَيْهِ ، أَوْ لِانْعِدَامِ الثَّمَنِ : فَرَدَّ الْمَبِيعَ عَلَى الْبَائِعِ ، وَقَبِلَ الْبَائِعُ رَدَّهُ : أَزَالَ اللَّهُ مَشَقَّتَه وَعَثْرَتَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لِأَنَّهُ إِحْسَانٌ مِنْهُ عَلَى الْمُشْتَرِي , لِأَنَّ الْبَيْعَ كَانَ قَدْ بَتَّ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمُشْتَرِي فَسْخه " [2]

– وكان ﷺ يساوم في الشراء، ولا يبخس الناس بضاعتهم، كما مر معنا في حديث جمل جابر ، وعن سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ الْعَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ " هَجَرَ " فَأَتَيْنَا بِهِ مَكَّةَ ، فَجَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي ، فَسَاوَمَنَا بِسَرَاوِيلَ ، فَبِعْنَاهُ.)[3]

– وكان ﷺ يأمر برجحان الوزن ، عن سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: رأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً يَزِنُ بِالأَجْرِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(زِنْ وَأَرْجِحْ)[4]

– وكان ﷺ يأمر بإنظار المعسر، والحط عنه ، عن أبي اليسر رضي الله عنه قال : قال ﷺ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ)[5].

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب البيوع باب فضل الإقالة (٢٧٤/٣/ح٣٤٦٠) وابن ماجة في سننه كتاب التجارات باب الإقالة (٧٤١/٢/ح ٢١٩٩) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٩/٠٤/ح٦٥٣٨)وقال رجاله ثقات.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٣٧/٩)

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب البيوع باب في الرجحان في الوزن (٢٤٥/٣/ح٣٣٣٦) والترمذي في سننه كتاب البيوع باب ما جاء في الرجحان في البيع (٥٩٠/٣/ح ١٣٠٥)وقال: حديث سويد حديث حسن صحيح. وابن ماجة في سننه باب التجارات باب الرجحان في الوزن (٧٤٨/٢/ ح٢٢٢٠)

(٤) نفس تخريج الحديث السابق

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر وقصة أبي اليسر (٤٢٢١/٦/ح٣٠٠٦)

وكان ﷺ ينهى عن التعامل بالربا ، وبيع الغرر ، وبيع العينة ، والتجارة بالمحرمات , وعن الغش والخداع، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ[١]، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ)[٢] وعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبِي اشْتَرَى عَبْدًا حَجَّامًا، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ وَثَمَنِ الدَّمِ، وَنَهَى عَنِ الوَاشِمَةِ وَالمَوْشُومَةِ، وَآكِلِ الرِّبَا وَمُوكِلِهِ، وَلَعَنَ المُصَوِّرَ»[٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام)أي: مر على كومة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله) يعني أصابه ماءُ المطر(قال ﷺ: أفلا جعلته فوق الطعام)ظاهراً مكشوفًا غير مدفون(؛ حتى يراه الناس؟ مَن غشنا فليس منا)[٤].

(١) الحصاة: هُوَ أن يَقُولَ الْمُشْتَرِي أو الْبَائِعُ إذَا نَبَذْتُ الحَصَاةَ إلَيْكَ فَقَدْ وَجَبَ البيعُ، وَقِيلَ: هُوَ أن يَقُولَ بِعْتُك مِنَ السِّلَعِ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ حَصاتُك إذَا رَمَيْتَ بِهَا، أو بِعْتُك مِنَ الأرض إلَى حيثُ تَنْتَهي حَصاتُك، والكُلُّ فَاسِدٌ لأنه مِنْ بُيُوعِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكُلُّهَا غَرَرٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الجَهالة.(لسان العرب (٤٨٢/٢)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البيوع باب بطلان بيع الحصاة وبيع الغرر (١٢١/٤/ ح١٥١٣)

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب موكل الربا (٤٣٣/١/ح٢٠٨٦)

(٤) سبق تخريجه رقم ٢

المطلب الرابع

هديه ﷺ في معاملة غير المسلمين

اتصف خير البشرية بشمائل وخلال عديدة بلغت الكمال البشري، فقد اجتمعت فيه ما تفرَّق من وجوه المحاسن والفضائل في الخلق أجمعين، وتكفيه شهادة رب العالمين إلى يوم الدين؛ إذ يقول :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [١]وقال سبحانه :﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [٢].

ولما كان دين الإسلام ديناً عالمياً للناس جميعاً، كذلك كانت بعثة خير البشر إلى البشرية كافة، فلا غرابة أن تكون الرحمة والرأفة بالغير من أهم سمات الكمال التي تحلى بها النبي ﷺ ؛ قال تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٣] ويؤكد الرسول ﷺ ؛ ذلك بقوله" :أنا نبي الرحمة[٤]" وتبدو تجليات السماحة والرحمة والرأفة وحسن المعاملة مع غير المسلمين – في سيرته صلوات الله عليه واضحة، وقد غلط بعض من فهِم أن علاقة المسلمين بغيرهم مبنية على العنف والغلظة والشدة، فأخذ يبيح لنفسه القتل والتعنيف والقسوة بادعاء أن هؤلاء كفار مخالفون لنا في العقيدة، فوجب النيل منهم والتنكيل بهم في مخالفة صريحة للهدي النبوي في معاملة غير المسلمين،لقد أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالعدل بين الناس جميعاً دون تمييز بين أجناسهم أو دينهم أو حسبهم، جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [٥] وقد ورد أكثر من حديث يشدد فيه ﷺ على أصحابه على حق

(١) القلم:٤
(٢) التوبة: ١٢٨
(٣) الأنبياء: ١٠٧
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم (٤/٤٩٤/ح٢٣٥٥)
(٥) النساء:٥٨

المعاهد، وهو مَن ارتبط مع المسلمين بمعاهدة، فمنها قوله: (مَن قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً) [1]كما نهى محمد ﷺ عن تعذيب أي نفس ولم يشترط فيها الإسلام؛ فقال: "إن الله عز وجل يُعذِّب الذين يعذبون الناس في الدنيا)،[2]

لذلك استطاع محمد ﷺ أن يضمن لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي الأمن والأمان والسلام، كما عرف عن النبي محمد ﷺ أنه كان يدعو إلى حسن جوار الكفار وعدم التعرض لأذيَّتهم، وضرب أمثلة رائعة في السماحة وحسن المعاملة، وليس أدلُّ على ذلك من قصة ثقيف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب "ميقات أهل نجد"، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، ولقد أرسل إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملَك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت؟ إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخشبين "الجبلين"، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)[3] كما تجلَّت رحمته ﷺ بهم في يوم فتح مكة، وتمكين الله تعالى له، حينما تجاوز عن مخالفيه ممن ناصبوا له العداء، فقد كانت سماحته غاية ما يمكن أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجزية باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (٦٦٨/١/ح٣١٦٦)
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس في الدنيا (١٢٨/٦/ح٢٦١٣)
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين (٦٩٩/١/ح٣٢٣١) ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي من أذى المشركين(٤٨٥/٤/ح١٧٩٥)

يصل إليه صفح البشر وعفوهم، فكان موقفه ممن كانوا حرباً على الدعوة، ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، وأعلنها صريحة واضحة" :اليوم يوم المرحمة.(١)

وتبلغ السماحة مبلغها، ويجسد الصبر على أذى غير المسلمين من خلال عدة مواقف تعرض فيها الرسول ﷺ لأذى لحق نفسه؛ كوضع التراب على رأسه، وإلقاء فضلات الإبل على ظهره وهو ساجد لربه، بل إنه صبر ﷺ على أذى أقرب الناس إليه نسباً وجواراً، وهما عمه أبو لهب وزوجه، فعمه كان يمشي خلفه وهو يطوف على الناس في المواسم، يعرض عليهم دعوته؛ ليصدَّ الناس عنه، وزوجته تحمل الشوك والأذى وتضعه في طريقه ﷺ ، كل ذلك قابله ﷺ بالعفو والصفح الجميل، والإعراض عن الجاهلين، والطَّمع في هدايتهم.

وكان ﷺ يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين «فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم)(٢).

وكان من هدي الرسول ﷺ دعوة غير المسلمين بالرفق واللين، وهو ما ظهر في كتبه إليهم؛ حيث تضمنت هذه الكتب دعوتهم إلى الإسلام بألطف أسلوب وأبلغ عبارة، فكانت دعوة الكافر بحكمة ورفق من أعظم القربات إلى الله؛ كما قال ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ لَمَّا بعثه إلى خيبر، وأمره أن يدعو إلى الإسلام، قال" :فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من حُمر النَّعم) (٣)

قوله (حمر النعم) أي: بسكون الميم من حمر وفتح النون والعين وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل تقتنيها وتمتلكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها.(٤)

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٦١/٤)
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة باب قبول الهديه من المشركين (٥٤٣/١/ح٢٦١٧)
(٣) المرجع السابق كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل (٦٣٣/١/ح٣٠٠٩)
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٧/ ٥٤٩)

-وكان ﷺ يغشى مخالفيه في دورهم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ ، فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول الله ﷺ فناداهم، فقال: (يا معشر يهود، أسلِموا تسلَموا)، فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم؛ الحديث)[1].

-كما أن رفقه وسماحته ومعاملته الحسنة لغير المسلمين، ظهرت حتى في ساحات القتال معهم، ومن ذلك أنه نهى ﷺ عن قتل الضعفاء أو الذين لم يشاركوا في القتال من الكافرين؛ كالرهبان والنساء والشيوخ والأطفال، أو الذين أجبروا على القتال، كالفلاحين والأُجراء (العُمَّال)، فعن بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، وقال: اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً) [2]، وفي رواية أخرى: "لا تقتلوا وليداً، فهذا عهدُ رسولِ الله ﷺ ، وسنتِه فيكم."

وتتعدد صور السماحة وحسن المعاملة مع غير المسلمين في الهدي النبوي، ويمكن القول: إن العدل والرفق والرحمة، كانت سمات للكمال البشري في حياته صلى الله عليه وسلم كلها، وتتضح هذه الخصال أكثر في تعامله ﷺ مع غير المسلمين، وخاصة أن الله تعالى أمر نبيه صلوت الله عليه ومن خلاله الأمةَ جميعاً بالبر والقسط مع غير المسلمين ما سالمونا ولم يبدؤونا بقتال، فقال: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [3] .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب اجلاء اليهود من الحجاز (٤/٤٣٧/ح١٧٦٥)
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب تأمير الامام الأمراء على البعوث ووصيته لهم (٤/٣٩٨/ح١٧٣١)
(٣) الممتحنة:٨

الخاتمة

وختاما لدراستنا لموضوع (الهدي النبوي في المعاملات الإنسانية) تبين لنا أن وجود علاقات تفاعلية بين البشر من ضرورات الحياة بغض النظر عن جنسٍ أو معتقدٍ أو لون، ولم يقتصر الدين الإسلامي على تعليم المسلمين أنواع العبادات وطرق تأديتها، بل أوضح لهم طرق المعاملات فيما بينهم، والمعاملات ليست مقتصرة المعنى على المعاملات المالية أو معاملات البيع والشراء. لكنها تستخدم على نطاق أوسع لتشمل أي نوع من التفاعل الاجتماعي، أو التواصل اللفظي، أو التواصل البصري، ومن خلال بحثي هذا توصلت للنتائج والتوصيات التالية:

١. «المعاملات الإنسانية» تطلق على أساليب التعامل بين الناس وتفاعلهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، في شتى جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، ومواقفه العملية والتعليمية والأسرية.

٢. الأصل في دين الإسلام أنه دينُ تجمّعٍ وألفة، لا دينَ عزلةٍ وفرارٍ من تكاليف الحياة.

٣. النبيّ ﷺ خير مثالٍ وقدوةٍ في تعامله مع زوجاته، وأبنائه، وأحفاده.

٤. مدى رحمة النبي ﷺ ورفقه ووصيته الدائمة بعدم إيذاء الخدم.

٥. الإنسان مهما بَذَل من المال لا يحظى برضى الناس، ثم إنَّ المال ليس في مقدور كلّ إنسان، ولكن في مقدور كلِّ واحدٍ أنْ يُحسن خُلُقه.

٦. كان النبيّ ﷺ أحسن النّاس تعاملاً مع جيرانه، وقد كان دائم الوصيّة بالجار.

٧. إن الواجبَ على كل مسلمٍ ومسلمة، أن يتأسّى برسول الله- ﷺ في كل جوانبِ حياتهم، وخاصة معاملته مع أصحابه.

٨. عظّم رسول الله ﷺ حقّ الجار، حتى كاد أن يجعله بمنزلة الوارث.

٩. هدي النبي ﷺ في البيع والشراء يمتاز بالسماحة واليسر في المعاملة , واستعمال معالي الأخلاق , وترك المشاحة , والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة ، وأخذ العفو منهم.

١٠. الرحمة والرأفة، أهم سمات الهدي النبوي في معاملة غير المسلمين.

وأخيرا أحث نفسي، والجميع بالاقتداء بالنبي ﷺ في المعاملات الإنسانية، فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

فهرس المراجع والمصادر

- أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني د. عودة عبد عودة عبد الله رئيس قسم أصول الدين – كلية الشريعة – جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين.
- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ت محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك ابن الأثير الجذري المتوفى سنة ٦٠٦هـ ط المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ت طاهر أحمد الزاوي.

- البر والصلة عن ابن المبارك لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمي المروزي المتوفى سنة ٢٤٦هـ تحقيق دكتور محمد سعيد بخاري، طبعة دار الوطن –الرياض الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ط دار الهداية.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ط دار الكتب العلمية – بيروت.
- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- جامع الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ط دار الحديث القاهرة –الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الدين المعاملة لمنقذ بن محمود السقار، الناشر/رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٣٠-٢٠٠٩م.

- الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري المتوفى سنة١٤٢٧هـ،ط/ دار الهلال بيروت، الطبعة الأولى.
- سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين اعداد د/ عبد الله بن إبراهيم اللحيران، أستاذ مشارك بقسم الدعوة بجامعة الإمام.
- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث بن اساق بن بشير الأزدي السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ ط دار الحديث -القاهرة -١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- سنن الدارمي للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي المتوفى سنة ٢٥٥هـ ت/ فؤاد أحمد زمرلي، ط دار الريان للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
- السنن الصغرى للنسائي طبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية-حلب-الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- السنن الكبرى لأحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ط مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- السيرة النبوية لإبن هشام المتوفى سنة٨٣٣هـ، ط/ دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ تحقيق: د/عبد العلي عبد الحميد حامد ط مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣م.
- صحيح ابن حبان (الإحسان) لمحمد بن حبان أبو حاتم البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ ط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ ط دار الأرقم، بيروت- لبنان.
- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ - بشرح النووي -ط دار الخير -دمشق-بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م..
- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لأبي بكر ابن العربي المتوفى سنة ط/ المكتبة العلمية
- عبد الشكور، محيي الدين: «نحو مدخل إسلامي لتطوير وتنظيم العلاقات الإنسانية»، بحث مطبوع ضمن كتاب: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، والذي يضم أبحاث اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٧٦م، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص١٢٣.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد أشرف بن أمير شرف الحق الصديق الأعظمي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ط دار المعرفة -بيروت ١٣٧٩هـ ت محمد فؤاد عبد الباقي.
- لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ ط دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- مسند أبي يعلى الموصلي المتوفى سنة٣٠٧هـ، ت/حسين سليم أسد، ط/ دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

- المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ ط مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- مصباح الزجاجة شرح سنن ابن ماجة للسيوطي، طبعة قديمي كتب خانة-كراتشي.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأبي العباس شهاب الدين البوصيري المتوفى سنة ٨٤٠هـ ت/محمد المتقي الكشناوي، ط دار العربية بيروت الطبعة الثانية,
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي أبو العباس المتوفى سنة ٧٧٠هـ ط المكتبة العلمية بيروت.
- المصنف للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ ت/ أيمن نصر الدين الأزهري، ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
- المعجم الأوسط للطبراني، ت/طارق بن عوض بن محمد، ط/ دار الحرمين القاهرة.
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة٣٦٠هـ ت-حمدي عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية-القاهرة، الطبعة الثانية.
- المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة دار الدعوة.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ، ت/ محمد عثمان الخشتي، ط/ دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى هـ١٤٠٥-١٩٨٥م.
- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائفها لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي، المتوفى سنة ٣٢٧هـ تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري طبعة دار الآفاق العربية-القاهرة-الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م.
- موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان المتوفى سنة ١٤٢٢هـ، الطبعة الثلاثون ١٤٢٤هـ.